من صنع بعض اناس غرباء من الشيع البروتستانيّة « الذين يتهزون بما اديهم من غزير المساعدة والوسائل فرصة ما احدثتهُ الحرب في فلسطين من عظيم الشقاء والخراب لكي يبثُّوا هنالك تعاليمهم » ولذلك خصص البابا مبلغاً معلوماً تُردّ للكاثوليك الرسالات المقدَّسة والمعابد والمدارس واستنهض همّة اساقفة العالم الكاثوليكيّ على الاهتمام بهذا الامر الخطير

فمن هذه الخلاصة يتضح ما للاب الاقدس بندكتوس الخامس عشر من الايادي البيض في سبيل الشرقيين ويلوح انهُ كان حقيقةً كما قال السيّد اشعيا پاپادوپولس في خطاب وجّههُ لقداسة الحبر الاعظم في ١٩ آذار ١٩١٩ :

« اباً عاماً لكلّ المسيحيين الشرقيين والغربيين والراعي الاسمى لرعيّة المسيح والقائد والمساعد وحجر الزاوية لصرح الكنيسة العجيب ... به ظهرت جديداً لدى اعين الاخوة المنفصلين قوّة البابويّة الادبيّة المؤسسة على الابوّة الالهية فوق كلّ قوّة أخرى سواها »

فعسى ارباب الكنائس الشرقيّة يُرعون سمعهم لهذا الصوت الابويّ فيزُفّون قلب راعي الكنيسة بضمّ قواهم الى قوى اخوتهم « ليكونوا كما قال الربّ مكمّلين بالوحدة »

الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب اياتو الثانية الى الموارنة ١٥٨٠—١٥٨٢

ما وقف الاب جوان باطشتا اليانو على نيّة الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بخصوص سفارة ثانية الى لبنان حتّى اخذ يستعدّ لها استعداداً تاماً ليجتني منها الكرسيّ الرسولي الثمار الطيّبة التي يشتهيها لمجد الله ولخير الكنيسة . وعيّن لهُ الرئيس العام الاب اقرَدْ مركوريان كرفيق لهذه الرحلة الاب يرحنّا برونو (G. Battista Bruno)

الذي يدعوه الدويهي في تاريخه (ص ١٢٧) «جوان برونا» . وكان هذا الرجل ورعاً واسع الفضل ضليعاً بالعلوم اللاهوتية

فسُرَّ به السفير البابوي ورأى معهُ انَّ امسَّ حاجة ينبغي التفرُّغ لها قبل سفرهما الاهتمام بطبع بعض التآليف في العربية ينشرانها في لبنان لصيانة اهله من اضاليل الامم المجاورة لهم وتعزيزاً للايمان الكاثوليكي في قلوبهم

غير انَّ طبع الكتب كان يقتضي تجهيز مطبعة وحفر حروف جديدة عربية وسريانية. فاتَّفق الاب اليانو مع طبَّاع روماني اسمهُ غريغوريوس لوتكا (Gr. Lutcha) ثم استدعيا رجلاً حاذقاً يُحسن حفر الأمهات يدعى غرانييه (Granier) فتفرَّغ لهذا العمل وبعد اسابيع قليلة أحضر القوالب فصُبَّت حروف كافية لطبع عدَّة كتب والمرجح ان تلك المطبعة لم تجهَّز في المدرسة الرومانية بل بقيت في عهد الطبَّاع لوتكا . واخبارها مفقودة اليوم

واول ما نشرهُ الاب اليانو بطبع التعليم المسيحي الشهير الذي صنَّفهُ القديس بطرس كانيزيوس اليسوعي فعرَّبهُ واضاف اليه ملحقاً دحض فيه اخصَّ الاضاليل الفاشية في الشرق ثم طبعهُ باحرف الكرشوني في نيسان من السنة ١٥٨٠ ونُسخ هذا الكتاب نادرة جداً لا يُعرف منهُ سوى نسخة مصونة في مكتبة فريبورغ من اعمال سويسرة . ففي الصفحة الاولى صورة القالوب على الجلجلة مع هذا العنوان بحرفه :

« التعليم المسيحي على جاري عادة مكتبة رومية الذي يلزم علمها وحفظها لكل المؤمنين بالمسيح وهي على صفة السؤال والجواب في لسان العربي (sic) المختومة بمدينة رومية بامر السيد فافا غريغوريوس الثالث عشر في يوم السابع من شهر نيسان سنة ١٥٨٠ مسيحية »

وعلى الهامش باللاتينية بخط احد السيَّاح المسمَّى سبستيان فارون كان اهداهُ الاب اليانو هذه النسخة في سورية سنة ١٥٨١ :

Catechismus Arabicus Chaldaico charactere per R. P. Joannem Babtistam Societatis Jesu Apostolicum in Phoenicia conscriptus, et mihi Sebastiano Werron ab Authore in Syria dono datus. 1581

وفي الصفحة الثانية صورة السيّد المسيح يقلّد بطرس رئاسة كنيسته وتحت الصورة آية متى (ف ١٦) : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي . .

ومما طبعهُ ايضاً بعد تعريبهِ كتابُ المكرَّم لويس الفرناطيّ في سرّي التوبة والقربان وكذلك عرَّب وطبع قوانين المجمع التريدنتيني وجدَّدَ طبع اعتقاد الامانة الارثذكسيّة الذي كان عرَّبهُ سابقاً سنة ١٥٦٦ كما رأينا

وذكر الاب سكّينيّ في تاريخ الرهبانيّة اليسوعية انَّ الاب الياتو طبع كتباً اخرى معرَّبة بقلمهِ منها التعليم الروماني الذي كان ألَّفهُ الاب اليسوعيّ فرنسيس توريانو (Fr. Turiano) ثم كتاباً في تفنيد اضاليل اليعاقبة والنساطرة (ولعلّهما الكتابان السابق ذكرهما) ثمّ كتاب الاقتداء بالمسيح وصلوات القدّاس اللاتيني . وكلّ هذه التآليف اصبحت اليوم اعزّ من بيضة الديك . وكنّا أمّلنا ان نجد منها نسخةً في دير سيدة قنّوبين في رحلتنا اليهِ في اوائل تشرين الاوّل من السنة ١٩١٤ . فلم يتحقّق املنا

وكان الاب يوحنّا برونو يساعد الاب الياتو في نشر تلك المطبوعات ويهتمّ بتنظيم الموادّ التي ينبغي البحث عنها في المجمع المئويّ عقدهُ في لبنان

اما الكردينال كرافّا محامي الطائفة المارونيّة فاخذ يسعى في امر درع الرئاسة لدى الحبر الاعظم ليرسلهُ للسيّد البطريرك ميخائيل الرزّي اذ لم يَنَلهُ بعدُ مع كونهِ بطريركاً منذ ١٣ سنة . وكان يحول دون منحهِ اياهُ ما رواهُ الدويهيّ في تاريخهِ (ص ١٧١ و ٤٣٩ — ٤٤١) عن شكايات قدَّمها بعض اهل قبرس الى الكرسيّ الرسوليّ يتهمونهُ بها عن صحّة ايمانهِ . فاحبَّ الحبر الروماني ان يتّضح الامر جليًّا . وزاد ارتياب الكرادلة لمّا عرفا ما تضمّنهُ الانجيل المخطوط بيد البطريرك من النصوص غير السديدة فأبى بعض امراء الكنيسة الاجابة الى طلبته لكنَّ الاب الياتو اكّد لهم حسن نيّة البطريرك وشهد عن تقاهُ ورضاهُ التامّ بتعاليم الكنيسة الرومانيّة مع استعداد جميع رؤساء الطائفة واساقفتها لقبول اوامر الكرسيّ الرسوليّ . فازالت هذه الشهادة الحيّة كلّ ريب من عقل البابا والكرادلة الفاحصين واسرع الحبر الاعظم في تقليد البطريرك الدرع المقدّس المرموز بهِ الى سلطانهِ على كنيستهِ وسلّمهُ الى الاب الياتو ليبلغهُ الى غبطة البطريرك بعد تجديدهِ امامهُ تأدية الطاعة للحبر الروماني

وكذلك اهتمّ الكردينال كرافا بتهيئة ٣٠٠ كاس مع عدد وافر من الحلل البيعيّة للاساقفة والكهنة ومن قوالب البرشان اودعها جميعاً عدّة صناديق لتوزّع في لبنان على الاكليروس الماروني

فكل هذه الاشغال لم يمكن الابوين ان ينجزاهما الّا في اواسط الربيع من السنة ١٥٨٠ فصمّما حينئذٍ العزم على السفر في العشر الثاني من شهر ايّار. واراد الاب الاقدس ان يؤازرهما بتعليمات واسعة لتتمّ تلك السفارة على احسن منوال فتثبّت نهائيًا عرى الاتحاد بين بني مارون ومركز الوحدة الكاثوليكيّة

وقد حرّر تلك التعليمات الكردينالان انطون كرافا ودي سان سفرينو (C^al. San Severino) باسم الحبر الاعظم وهذه التعليمات مصونة حتّى اليوم في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة قد نشر منها المرحوم الاب انطون رباط ما سطّرهُ الكردينال كرافا فاثبتهُ بنصّهِ الطلياني في المجلّد الاوّل من كتابه المعنون بالآثار الخطيّة عن تاريخ الكنائس الشرقيّة (ص ١٤٨ — ١٥١) وهي تتألّف من ١٩ بندًا يوصي فيها الكردينال الابوين اليسوعيين بان يتفقّدا شؤون الطائفة في ايمانها وطقوسها وآثارها الكنائسيّة وعاداتها في جميع انحاء لبنان ويدوّنا كلّ ملحوظاتهما بالتدقيق وان يقلّدا الدرع المقدّس غبطة البطريرك بعد استتباتهما لصحّة ايمانهِ وطاعتهِ للكرسيّ الرسولي وان يجتهدا في ان يصلحا بينهُ وبين الاساقفة الخارجين عن طاعته بعد تأديتهم الخضوع لرئيس كنيستهم . وتاريخ هذه الوصيّة في ٧ ايّار ١٥٨٠

امّا وصاة الكردينال سان سفرينو فتاريخ كتابتها في ١٠ ايّار ضمّنها مرغوبات الحبر الاعظم بخصوص هذه السفارة فيقول للابوين ان البابا بارسالهما الى الشرق لا يقصر نظرهُ على الموارنة فقط بل يريد ان يسعيا بردّ كل الطوائف الشرقيّة الى حجر الكنيسة ومن ثمّ ينبغي عليهما ان يجتمعا برؤساء تلك الطوائف من ارمن وروم ويعاقبة وكلدان واقباط ليعرضا عليهم الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة بنبذ التعاليم الباطلة التي زرعها في قلوبهم عدوّ الله — ثمّ يحرّضهما على انتخاب بعض الاولاد الاذكياء يرسلانهم الى روميه ليتهذّبوا فيها ثمّ يعودوا الى مواطنهم فينشروا بين ذويهم المعتقدات الصالحة . ومن وصايا الكردينال ان يبحث الابوان عن الآثار الكنسيّة

والمناشير البابويّة التي أُرسلت الى الشرقيين فيأخذا صورتها لا سيّما مناشير البابا اوجانيوس الرابع المرسلة بعد المجمعين الفلورنتيني واللاتراني

وقد اضاف رئيس الرهبانيّة اليسوعية العام الاب مركوريان الى هذه التعليمات وصايا أخر نشرها ايضاً الاب انطون رباط في مجموعته (١ : ١١٥ — ١٤٧) عبارة حكمة يذكّر فيها المرسلين بعظم المهنة التي عُهدت اليهما وكيف يجب عليهما ان يتصرّفا في سلوكهما الخاص بكل برّ وقداسة وفي معاملاتهما مع الرؤساء الشرقيين بالمحبة والفطنة والاناة وبينهما بالاتفاق التام الى غير ذلك من التنبيهات الابويّة المشعرة بحسن نظر ذلك الرئيس الهمام

*

كان موعد سفر الاب اليانو ورفيقه الاب برونو في اواسط أيّار ١٥٨٠ يوم عيد الرب فركبا السفينة من البندقيّة واخذا من ذلك الحين يخدمان القريب فكانا يهتمّان بالمرضى ويرشدان رفقتهما في السفر ويقضيان بقيّة الوقت في الفرائض التقويّة . وكان الاب اليانو يعرّب المناشير البابويّة المرسلة الى السيّد البطريرك والى طائفته اما الاب برونو فكان يعدّ كلّ شيء للمجمع المقصود

وقد كان هذا السفر سعيداً نجا فيه المركب من قرصان الجزائر الذين شاهدوهم عن بُعد وكانت الريح موافقة حتى انهم بعد ١٥ يوماً فقط بلغوا قبرس (٢٩ أيّار ١٥٨٠) وذلك من الامور النادرة في تلك الازمنة مع السفن الشراعية

نزل الابوان الى الجزيرة فاستقبلهما السنيور لويس قنصل البندقية هناك على ما يظهر وساعدهما على قدر طاقته في كل حاجاتهما . وكان فكرهما ان يقلعا بعد قليل ليذهبا الى طرابلس لكنّ ربّان السفينة أبى السفر قبل ان يبطل الطاعون الفاشي في سوريّة . فاضطرّ المرسلان الى ان يبقيا في الجزيرة فقضيا ذلك الوقت في زيارة اسقف الموارنة وأقناه بأن يأتي الى لبنان ليحضر المجمع مع بقيّة الاساقفة . وكذلك زارا نصارى الجزيرة وعزّياهم لما يلقونهُ من ظلم الاتراك الذين تملّكوا على جزيرتهم منذ عشر سنوات . وخصّا بعنايتهم الموارنة وكان عددهم على ما حرّرا في رسائلهما نحو ١٥٠٠ نفس

وبعد ثلاثة اسابيع وردت الاخبار عن بطلان الوباء فسافر المركب بعد ٢٥ يوماً ربط باثنائها في قبرس وبلغ الى طرابلس في ٢٩ حزيران ١٥٨٠ (الى بقيّة)